لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون هو عدوٌّ لدود وهو ألدّ اعداء فلان يريدون باللدود الشديد العداوة وهو خلاف المعروف في استعمال العرب لان اللدود عندهم بمعنى الذي يغلب في الخصومة يقال لدّهُ يلدّهُ فهو لادٌّ لهُ وهو رجلٌ لدود ويقال خصمٌ ألدّ اذا كان شديد الخصام لا يذعن للحجة ومأخذهُ من اللديد وهو صفحة العنق لان المخاصم ينصب لديدَيهِ عند الخصام

ويقولون مرّت عليهِ كرور الزمان فيؤنثون لفظ الفعل على توهم أن الكرور جمع وانما هو مصدر كرّ

ويقولون هو موشكٌ على الموت يستعملونهُ بمنزلة مشرف ومنهم من يقول اوشك السقوطَ اي قاربهُ فينصبون بعدهُ مفعولاً بهِ وكلاهما غير الصواب لان هذا الفعل لايستعمل بعدهُ الا المضارع منصوباً بأن في الغالب تقول اوشك فلان ان يفعل كذا ولا يُبنَى منهُ اسمٌ للفاعل في المشهور . واما اوشك المتعدي فسُمع بمعنى اسرع يقال اوشك فلانٌ الخروج وليس من الباب الذي نحن فيه

ويقولون فعل ذلك في شبوبيتهِ قياساً على الطفولية والرجولية وهو غير منقولٍ عنهم والصواب الشباب والشبيبة

ويقولون هذا امرٌ هامٌّ بصيغة الثلاثي لا يكادون يخرجون عنها في الاستعمال والافصح مهمٌّ بالرباعيّ وعليهِ اقتصر في الصحاح والاساس

ويقولون جآء بعددٍ ينوف على كذا اي يزيد والصواب ينيف من أناف الرباعي ويقال ايضاً ينيّف بالتشديد

ومن هذه المادّة يقولون نيّف وعشرون ديناراً فيقدمون النيف والمسموع تأخيرهُ يقال عشرون ونيّف ومئة ونيّف

ويقولون رجلٌ مفسود السيرة وقد انفسد وكلاهما خطأٌ لان فسد لازم فلا يصاغ للمجهول ولا يُبنى منهُ مطاوع . وقد وقع مثل هذا للحريري في مقامتهِ الحجرية حيث يقول أما انك لو ظهرت على عيشي المنكدر لعذرت في دمعي المنهمر . قال الشارح قولهُ المنكدر اي المتغير والكُدرة ضدّ الصفاء . اه . قال في لسان العرب انكدر يعدو أسرع وانكدر عليهم القوم اذا جآءوا أرسالاً حتى ينصبّوا عليهم وانكدرت النجوم تناثرت وجاء في الاساس انكدر الطائر بمعنى انقضّ لم يحكوا فيهِ غير ذلك

ويقولون جآء فلان خلوًّا من المال فيشددون الواو وصوابهُ خِلوٌ بكسر الخاء وسكون اللام وهو بمعنى الخالي

ويقولون بين الرجلين عدوان اي عداوة ولا يأتي العدوان بهذا المعنى وانما هو مصدر عدا عليهِ بمعنى اعتدى

ويقولون هذا الامر يحدو بي الى كذا اي يسوقني اليهِ فيعدّون الفعل الى الشخص بالبآء والى الامر بالى والصواب تعديتهُ الى الاول بنفسهِ لان اصلهُ من حدو الابل وهو سوقها بالغنآء والمسموع في الثاني ان يعدَّى الفعل اليهِ بعلى ذهاباً الى تضمينهِ معنى حمل كما يقال بعثهُ على كذا وان كان المعنى يحتمل الحرفين جميعاً

ويقولون بينهما شراكة في كذا يبنونهُ على فعالة وانما هو من الالفاظ العامية والصواب شَرِكة بفتح فكسر وشِرْكة بكسرٍ فسكون

ويقولون افرغ المكان والوعاء بصيغة افعـل اي اخلاهُ والصواب في هذا المعنى فرَّغهُ بالتشديد واما افرغ فمعناهُ صبّ يقـال افرغ المـآء ونحوهُ وافرغ المعدن اي سبكهُ

ويقولون هو مدمنٌ على هذا الامر اي مواظبٌ عليـه مديمٌ لفعله والصواب تركـ الجارّ لان هذا الحرف يتعدى بنفسهِ

ويقولون قد اصبح هذا الامر اصلح من ذي قبل يعنون اصلح مما كان عليهِ من قبل فيحرّفون اللفظ والمعنى جميعاً والذي يؤخذ من نصوص اللغة انك تقول سآتيك من ذي قَبَل بفتحتين وبكسرٍ ففتح اي فيما يُستقبَل من الزمان . على ان كلامهم في هذا الحرف لا يخلو من اضطرابٍ واشكال الا ان ما ذكرنا من معناهُ هو الاظهر والاشبه وهو محصَّل ما اقتصر عليهِ في الاساس والصحاح[1] (ستأتي البقية)

---

(١) قال في القاموس ولا اكلمك الى عشرٍ من ذي قَبَل كعنب وجبل اي فيما استأنف او معنى المحركة الى عشرٍ تستقبلها ومعنى المكسورة القاف الى عشرٍ مما تشاهدهُ من الايام وانظر ما الذي يُفهَم من هذا الكلام . وزاد في تاج العروس بعد قولهِ مما تشاهدهُ من الايام اي فيما تستقبل وعليهِ فحاصل التفسيرين واحد وعاد الكلام ضرباً من الخلط . وقال في لسان العرب : الفرّآء : يقال لقيتهُ من ذي قَبَل وقِبَل ومن ذي عَوَض وعِوَض (كذا مضبوطين بالرسم) ومن ذي أُنُف اي فيما يستقبل . اه . وههنا كل الاشكال فكيف يقول لقيتهُ اي بلفظ الماضي ثم يفسر من ذي قبل بقولهِ فيما يستقبل . وجآء فيه بعد هذا وأَفعلُ ذلك من ذي قَبَل اي فيما أَستقبل وأَفعل ذلك من ذي قِبَل اي فيما تستقبل وضُبط لفظ قبل بعد

فعل المتكلم بفتحتين و بعد فعل المخاطب بكسرٍ ففتح وهو اغرب الا ان يكون هناك غلط في الطبع فيبقى الاشكال في القصد من تكرير المثال · ولا بأْس ان نورد هنا تفسيرهم لذي عوض وذي انف لان هذه الالفاظ الثلاثة مترادفة في الاستعمال كما علمت · قال في لسان العرب في تركيب (ع و ض) وقولهم لا افعلهُ من ذي عوضِ (كذا في النسخة المطبوعة في بولاق بضادٍ مكسورة و باقيها عارٍ عن الضبط) اي ابدًا كما تقول من ذي قبلُ (كذا بضم اللام) ومن ذي أُنُف اي فيما يستقبل اضاف الدهر الى نفسهِ · اه · ومحصلهُ ان عوض هنا بمعنى الدهر فيكون على هذا بفتح اولهِ وسكون الواو وهو خلاف ماحكاهُ عن الفرآء فيما نقلناهُ قريبًا · وقولهُ اضاف الدهر الى نفسهِ كانهُ يريد ان الاصل من ذي عَوْضي مضافًا الى يآء المتكلم ثم حذفت اليآء على حدّ حذفها في الندآء وبقيت كسرة الضاد دليلاً عليها وهو غريب · ولم يذكر القاموس عوض بهذا التركيب ولا تعرض لهُ صاحب التاج مع انهُ نقل عبارة الفرآء المذكورة في باب اللام · وقال اي صاحب لسان العرب في باب الفآء : الليث : اتيت فلانًا أُنُفًا كما تقول من ذي قُبُل ويقال آتيك من ذي أُنُف كما تقول من ذي قُبُل (كذا بضبط قبل بضمتين في الموضعين) اي فيما يستقبل وفيهِ ما في كلام الفرآء من جعل أُنُف ظرفًا للفعل الماضي وتفسيرهِ بما يستقبل ونقلهُ في تاج العروس بالحرف . والحاصل ان البحث في هذه الكتب مما يبعث السأْم بل يورث السقم واني وايمُ الله لأَعذر كل كاتبٍ ينقبض عن مطالعة اسفار اللغة و يتفادى من الخوض فيها اذا كان هذا حال من يروم ان يستصبح بمشكاتها و يستوضح منها غوامض اسرار اللغة ومشكلاتها ولقد كان هذا مما لقيت منهُ العنآء الطويل والعنت الثقيل مما دعاني الى ان اخدم طلاب هذه اللغة بوضع معجمٍ استوفي فيهِ نصوصها على الوجه الواضح الذي لا اشكال فيهِ مع تجريدها من كل ما لا تبيح قوانين البلاغة استعمالهُ من اللفظ المتروك والوحشيّ واستبدالهِ بالكلم المولد مما يتسنى لي العثور عليهِ وقد طالعت لذلك ما يزيد على عشرين الف صفحة من كتب التاريخ والشعر والادب و يشهد الله ما كانت رحلتي الى هذه الديار الا لاتفرغ لاتمام هذا التأْليف وطبعهِ ثقةً بما اشتهر من انها كعبة العلم ومحط رحال العربية ومنبثق انوارها ولكني صادفت من حال البلاد بل من حال من وُكل اليهم امر العمليات فيها ما قضى عليّ بان اطوي هذا الكتاب الى فتحٍ

جديد واطوي معهُ كتاباً آخر ليس باقلّ فائدةً منهُ في تجديد حياة اللغة واخراج دفائنها وكنت قد عرضتهُ على نظارة المعارف المصرية فلم تزدني على استحسان الكتاب والثناء على مؤلفهِ ٠٠٠٠٠ وسأُفرد لما دار بيني وبينها في ذلك فصلاً مخصوصاً يعلم منهُ المطالع سبب انحطاط الامم الشرقية وتخلفها والله يهدي من يشآء ويضلّ من يشآء

الطبيعة

من قلم حضرة الاديب الشيخ بولس مسعد

اطلعت في احدى الجرائد الافرنجية على فصل لطيف في اسرار الطبيعة والمخلوقات من قلم احد مشاهير العلمآء فاحببت ان اطرف بهِ قرّآء الضيآء الاغر لما فيهِ من الفكاهة والفائدة　قال

لكل صنفٍ من انواع الخلائق سنةٌ متّبعة تجري عليها وشرائع ثابتة لا تتعداها فان من ارسل رائد البصر والبصيرة في مجال الطبيعة الواسع يرى فيها مما منّ الله بهِ على الانسان والحيوان والنبات والجماد من الهبات وسنّ لها من النظامات ما يستوقف عقلهُ لتأمّل عظمة الخالق وسموّ حكمتهِ فانهُ تعالى لم يقتصر على العناية بامر الانسان الذي هو رأس الخلائق الارضية ولكنهُ شمل الحيوان الى ادنى صنوفهِ بمثل تلك العناية ورتب لهُ اطوار معيشتهِ ووفّر لهُ اسبابها ولنا في ذلك شواهد اثبتتها المراقبة لا تقل اهمية البحث فيها عن غيرها من المباحث العلمية

فللمتأمل ان يرسل فكرتهُ الى عالم الهوام ويقفها هناك قليلاً فيرى ان لكل حشرةٍ منها نظاماً تجري عليهِ بكل دقة منقطعةً الى اتمام عملها طبقاً للقاعدة الطبيعية متجافيةً عن كل ما يُلحق بها ضرراً ويعترض سيرها في

خطة ما وُجدت للعمل بهِ . وانظر الى حالة الفراش الذي تراهُ دائماً يحوم حول الازهار يتنقل من زهرةٍ الى اخرى لاجتناء ما تهيأ لهُ فيها من المواد الصالحة لغذآئهِ وقيام وظيفتهِ وكذا عددٌ كثير من ذوات الاجنحة التي لا تقل معيشتها انتظاماً عن معيشة النحلة والنملة وغيرهما من الهوام الراقية . فمن تأمل حالة هذه الهوام تبين لهُ ثبات نظام الطبيعة ودقتهُ ورأى هنالك اسراراً غامضة واغراضاً خفية لا يمكن ادراكها ترجع بجملتها الى سنة الكون والفساد

ولا يخفى ان من هذه الهوام ما هو جزيل الفائدة للمجتمع البشري كدودة القز مثلاً التي ما هي باعتبار ذاتها الاّ دودة حقيرة اوجدها الله في عالم الهوام وسنّ لها نظاماً تتبعهُ كسائر الحشرات الا انها بترتيب معيشتها واتمام شروط مهنتها تهيئ لنا هذا المنسوج الناعم الذي نؤثرهُ على كل منسوج حتى صار مما يتزين بهِ الملوك في قصورهم والكبار في دورهم . ولدودة القز في اثناء صنع هذا النسيج خصائص اهمها سرعة النمو فانها تنمو في مدة ثلاثين يوماً نموًّا عجيباً حتى يبلغ طولها من ميليمتر ونصف الى تسعة سنتيمترات اي ان طولها يتضاعف ستين مرة عما يكون عليهِ اولاً ويزداد اذ ذاك وزنها من ثمانية آلاف الى تسعة آلاف ضعف وذلك كما لو فُرض ان جواداً بلغ بالنسبة الى هيكلهِ ٣٧ متراً من العلو و ٥٥ متراً من الطول وتضاعف وزنهُ الى ان بلغ مئة وستين الف كيلوغرام . وتبقى هذه الحشرة دودةً الى ان يأتي عليها عشرة اشهر ثم تهجع في الفيلجة (الشرنقة) مدة ثمانية عشر يوماً فتتحول الى زيز ثم تنسلخ فتصير فراشاً ذا جناحين وتبقى كذلك مدة عشرة

ايام. وهي منذ خروجها من الفيلجة تبقى منقطعة عن الغذآء كما كانت وهي فيها فلا يبقى لها اهتمامٌ بشيءٍ من الطبيعة الا القيام بأهمّ وظيفة بعد اعمالها الشخصية وهي استبقاء خلفٍ يتولى مثل عملها من بعدها

لاشك ان هذا من شأنهِ ان يقف بالمتأمل البصير ويستدعي فكرهُ للبحث في امر هذه الحشرة الغريبة فلقد نراها تخرج من مضجعها بالغةً اشدّها ناضجة مستكملة شروط الانثى اذا كانت انثى والذكر اذا كانت ذكراً متلهبةً حباً وهياماً يتهالك الجنس الواحد منها على صاحبهِ نابذاً سبب الحياة الذي هو الغذآء واهباً كل حياتهِ لقرينهِ حتى اذا اتمّا ما ترتّب عليهما اتمامهُ من خصائص وظيفتهما يموتان طبقاً لقاعدة سامية طبيعية وارادة جليلة عُلوية

وعلى هذا نرى بقية الحشرات تابعةً خطة الدقة في نظام معيشتها وهذا هو العامل الاكبر لحفظ جنسها ونموهِ على اننا نرى اطوار الانسان مختلفة كل الاختلاف عن اطوار هذه الحشرات الحقيرة الجسم الجزيلة الجدوى للجنس البشري فالشاب من البشر يطمح الى المسرَّة ويطلق العنان للملذات وهو في ربيع عمرهِ فاذا ولى هذا الوقت وشاخ تراهُ يلازم السكينة والعزلة ويستولي عليهِ الزهد في ملاذّ الدنيا وطيباتها وما فيها من المسرّات والزخارف وربما اعاد نظرهُ الى سالف ايامهِ وتذكر ما مرَّ بهِ اذ ذاك من اسباب الدعة ودواعي اللهو فينغصهُ تذكرهُ وهكذا يقضي سنيهِ الاخيرة في خمول وذهول وهو بين يأسٍ ورجآء الى ان تفيض روحهُ عجزاً . واذا تأملنا حياة هذه الحشرات وجدناها على العكس من ذلك فانها في الطور الاول من حياتها من اي نوعٍ كانت تبتدئ في السعي ورآء ما يقوم بمعيشتها من الاغذية متنقلةً

من موضع الى آخر وفي الطور الثاني تلازم حالة السكون في مرقدها (اي الفيلجة اذا كانت دودة قز مثلاً) وتنتظر الحياة الجديدة الا انها في الطور الثالث والاخير من حياتها تهبّ من مرقدها الى حيث تجد حياةً زاهرة زاهية وتتعرض لضوء الشمس وحرارتها مندفعةً الى التمتع باللذة التي تحملها على الهيام وتنتهك قواها الى ان تسقط ميتةً ضحية النظام الذي وُضع لها

فكيف يتأتى للعاقل اذا تبصر في حالة هذه الهوام ان لا يقضي اشد العجب من نظام الطبيعة ومن غاية وضعهِ وترتيبهِ الذي ولا ريب لم يكن الا عن مشيئةٍ سامية جلّت عما في الطبيعة من المخلوقات والموجودات فكأَن الله خلق لهذه الحشرات عقلاً تستنير بهِ وتحسن القيام بمعيشتها وتوفية حقوق خدمتها بهذه الدقة الغريبة

ولقد روى احد الباحثين عن طبائع الحشرات انهُ راقب يوماً ما حركات حشرة من ذوات الجناح كانت على غصن وردةٍ فرآها تشقّ جوف واحدةٍ من الهوام المعروفة بالمنّ كانت تمتصّ عصار الورد ورأى ذلك العصار سائلاً من جرحها والحشرة تمدّ تآشيرها (وهي ما تعضّ بهِ) في بطن المنة وتحاول توسيع جرحها بمقدم قوائمها ليمكنها امتصاص كل ما حوتهُ من ذلك العصار ثم انتقلت الى غيرها ففعلت بها كذلك الى ان اتت منها على نحو الثلاثين . ولما شبعت منها جعلت تلتقط البقايا الصغيرة من تلك الهوام وتعجنها بما بقي فيها من العصار حتى صارت عجينة واحدة واستمرَّت تروح وتجيء فوق هذا الخليط وتقلّبهُ الى ان صار صالحاً لغرضها فكانت تفترشهُ وتبذر عليهِ وانما فعلت ذلك ليكون بذرها بمأمنٍ من الانتثار والسقوط . ولما تم لها ذلك كلهُ

انحدرت من اعلى الوردة الى اسفلها فماتت هناك واما الذكر فمات قبل ذلك بليلة بعد ان اتمّ ما عليهِ من مقتضيات نظام حياتهِ . ثم انهُ لم يمرّ على ذلك الا اربعة عشر يوماً حتى نقفت هذه البذور فوجدت الفراخ التي خرجت منها ما أُعِدَّ لها من الغذآء في ذلك المزيج الذي افتُرِش لها من قبل ولم يكد يفرغ هذا الزاد حتى اصبح في امكانها ان تنتقل من موضعها لافتراس ما حولها من المن الذي تركتهُ لها والدتها على فروع الوردة

وهكذا كل حشرة من هذه الحشرات الحقيرة تتمّ جميع وظائفها بنهاية الدقة والاحكام معتنية حتى بمعدَّات حياة صغارها المستقبلة مع انها لا يمكنها معرفة تلك الصغار ولا مخالطتها اذ قد قضي عليها ان لا تداني بيضها مذ تضعهُ ولا ان تحضنهُ لينقف بالحرارة التي تتولد منها بل انها تتركهُ معرّضاً لحرارة الشمس والتأثيرات الجوّية فينقف ويقوم مقامها وينالهُ من نصيب الحياة والمعيشة ما نالها وهكذا تمضي هذه الحشرات خاضعة لشرائع الطبيعة ونواميسها تلد وتموت كما ولد ومات غيرها من جنسها لكن بعد ان تكون قد قامت بعبء الوظيفة المنوطة بها والموكولة اليها حق قيام وخدمت جنسها والجنس البشري بمقدار ما وهبها الخالق من الاستطاعة

مطالعات

تسيير السفن بالبخار في سنة ١٥٤٣ – من المشهور ان اول من سيّر سفينة بالبخار هو روبرت فولتون الاميركاني واول امتحان اجراهُ كان في

نهر السين في مدينة باريز سنة ١٨٠٣ . وجآء قبلهُ كثيرون زاولوا مثل هذا الامتحان لكن على غير جدوى واول من يُذكَر منهم دانيس پاپين من اطبآء فرنسا من اهل القرن السابع عشر وهو اول من خطر لهُ ان يحرّك السفن بالبخار الا ان هذا الخاطر كان لا يزال فطيراً ولم يتمّ نضجهُ واخراجهُ الى العمل الا على يد فولتون في العهد المذكور

لكن جآء في احدى المجلات العلميـة الفرنسوية التي صدرت آخراً فصلٌ طويل نقلتهُ عن كتاب للدون مرتين فرنند مطبوع منذ سنة ١٨٢٠ ذُكر فيهِ ان هذا الامتحان قد أُجري قبل ذلك بزمن طويل وان اول مخترع للآلة البخارية هو الربان بلسكو دو غاراي الاسبانيولي وقد اتمّ امتحانهُ المذكور سنة ١٥٤٣ في مينآء برشلونة من ثغور اسبانيا ونحن نسوق ملخص الفصل المشار اليهِ فائدةً للمطالع قال

لما كانت سنة ١٥٤٣ عرض الربان بلسكو دوغاراي في مجلس كارلوس الخامس اختراع آلةٍ يُجري بها السفن العظيمة بدون اشرعة ولا مجاذيف . ولما كان كل نبإٍ جديد لا يخلو من استغراب انكر عليهِ بعض الحضور ذلك ومنهم من قاومهُ مقاومة شديدة ليكفوهُ عن اجرآء امتحانهِ بمشهدٍ علنيّ لكن الملك خالفهم في ذلك وامر باجرآء الامتحان فأُجري في مينآء برشلونة في السابع عشر من يونيو من تلك السنة

اما صفة هذه الآلة فلم يشرحها المخترع لكن شهود الامتحان ذكروا انهـا كانت مؤلفةً من مرجلٍ يُغلَى فيهِ مقدارٌ عظيمٌ من المآء ويتصل بهِ عجَل تقوم مقام المجاذيف وآلةٌ توصل قوة بخار المآء الى تلك العجل

وكان الامتحان في سفينةٍ تسمى ترينيداد (وهو اسم مدينة من جزيرة كوبا) قائدها الربان بطرس دو سكارازا بامر الملك وابنـهِ فيليب الثاني وكان ذلك بمشهدهما ومشهد جماعةٍ من كبرآء الدولة واعيان البلاد فسُرّ الملك وابنهُ وسائر المشاهدين من ذلك الامتحان الا ان احدهم ويقال لهُ راقاجو وهو خازن البلاط ما برح يطعن على هذا الاختراع لانهُ كان ممن سبقت لهُ مقاومتهُ وحاول ان يثبت لهُ مساوئ واخطاراً تمنع من الاقدام على استعمالهِ فزعم ان السفينة لا تجري بهذه الآلة زيادة على ثلاث ساعات وانها بوجود المرجل فيها تكون ابداً معرّضةً لخطر انفجارهِ الى غير ذلك من الحجج وجرت بسبب ذلك مناقضاتٌ طويلة بينهُ وبين سائر الحاضرين من رجال الدولة اسفرت عن ارجآء الامر الى حين آخر . على ان اعتراض راقاجو وحججهُ لم تكن لتؤثر في الملك تأثيراً كبيراً وقد كان الملك يودّ معاودة الامتحان لولا ما عرض لهُ من المشاغل التي صرفتهُ عنهُ وقد انعم على غاراي بجوائز مالية وغيرها وامر ان يعوَّض عليهِ كل ما بذلهُ من النفقات في تجهيز الآلة وامتحانها من خزانة الملك

قال وقد نُقل هذا النبأ بحوادثهِ من التذاكر الاصلية المحفوظة في ساماس ومن سجلاّت كاتب اسرار الحرب لسنة ١٥٤٣ . انتهى

قرض الاظفار بالاسنان ـ نشر احد اكابر الاطبآء فصلاً في هذا المعنى في بعض المجلات العلمية فاحببنا تعريبهُ لما فيهِ من الفائدة والتنبيه قال نرى كثيرين من الاولاد بل من الكبار احياناً مولعين بقرض

اظفارهم باسنانهم وهي عادة خبيثة ذات آفاتٍ لا يؤمن شرّها . وذلك ان اطراف الاظفار من المواضع التي تجمع فيها الاوساخ من كل ما تباشره اليد او يكون منتشراً في الهوآء وهذه الاوساخ لا تخلو من السموم والجراثيم المرضية فهي بهذه العادة تُنقل على الدوام الى الفم فتعرّض الجسم لامراضٍ شتى وذلك فضلاً عن ان قُراضة الظفر نفسها تهيج الغشآء المَعديّ وقد تفضي الى حدوث تهيجٍ في الامعاء مما يشاهَد وجودهُ دائماً عند اصحاب هذه العادة الرديئة

وهناك امرٌ آخر ليس بادنى اهميةً مما ذُكر وذلك ان صاحب هذه العادة يفقد قوة استعمال الانامل لان اطراف اصابعهِ تتدملك بعد زوال رؤوس الاظافر وبتوالي وقوع الاسنان عليها تتصلب اطرافها التي من ناحية الظفر فينشأ هناك مجلٌ يمنع حسّ الانملة حتى يصير الشخص اذا اراد التقاط ابرةٍ مثلاً او عقد طرف خيط او تناول شيءٍ صغير كقطعةٍ من السكة ونحوها يمتنع عليهِ ذلك الا بصعوبةٍ وعلى الجملة فانهُ لا يعود اهلاً لان يتعاطى شيئاً من الصنائع الدقيقة

اما منشأ هذه العادة وسببها فالغالب انها تنشأ مع الشخص منذ الطفولية لما ان الاطفال مولعون طبعاً بامتصاص او ارتضاع كل ما يصل الى افواههم سوآءٌ كان اصابعهم او غيرها وهو فعلٌ يندفعون اليهِ بالسيلقة من غير اختيارٍ ولا ادراك . ولكن الذي يمكّن هذه العادة فيهم غفلة المرضعات او اهمالهنَّ فانهنَّ اذا رأينَ الطفل يفعل ذلك تركنهُ وما يفعل لانهُ يشتغل عنهنَّ باصابعهِ فيستغنينَ عن ارضاعهِ اذا جاع او حملهِ اذا تململ وطلب

الحركة والانتقال بل ربما عوَّدنهُ ذلك عمداً لهذه الغاية عينها

اما علاج هذه العادة فارتأى بعضهم ان تُفرَكَ اطراف اصابع الطفل بشيء مرّ كالصبر وساق الخرشوف وكبريتات الكينا وغير ذلك ومنهم من اشار بالباسهِ القفافيز وربط يديهِ وقت النوم الى غير ذلك . وذكر الدكتور باريلون انهُ وجد افضل علاجٍ لمن تجاوز سن الطفولية وثبتت هذه العادة معهُ ان يعالجهُ بالتنويم المغنطيسي ثم يأمرهُ بالاقلاع عنها وبتكرار ذلك كان ينجع فيهِ ويترك عادتهُ . قال وقد تولى منذ مدةٍ فحص طلبة بعض المدارس فوجد من انتشار هذه العادة فيهم ما عجب لهُ واستعظمهُ فانهُ وجد في احدى المدارس في باريز ٦٣ من اصحاب هذه العادة بين ٢٦٥ ممن فحصهم وفي مدرسةٍ اخرى ٦ من ٢٩ و ١١ بنتاً من ٢١ فكان المعدل نحو ٢٧ في المئة . وقد وجد بالاختبار ان هذه العادة لا تكون غالباً الا مع فساد في المزاج والقوى العقلية لانهُ كثيراً ما يصحبها ما يدلّ على ضعف العصب كسلَس البول وسرعة التهيج والزَعَق (بفتحتين الفزع بالليل خاصةً) وضعف المدارك وغير ذلك . وراقب غيرهُ ان هؤلآء القرّاضين يكونون على الغالب كسالى منهوكي القُوَى البدنية واصحاب بدَوات واضطراباتٍ عصبية . انتهى

مُتَفَرِّقَات

منزل من الألومينيوم – قد تمّ حديثاً في شيكاغو بناء منزلٍ كبيرٍ من الالومينيوم وهو المعدن المعروف الذي اكتُشفت مناجمهُ من عهدٍ غير بعيد

حيث استبدلوا الآجرّ الترابيّ بصفائح منهُ يحملها هيكلٌ من الحديد ولخفة هذا المعدن امكنهم ان يرفعوا البنآء الى ٦٤ متراً قسموها الى سبع عشرة طبقة

وهذا المعدن يُستخرَج اليوم بمقادير عظيمة فان ما استخرجت منهُ الشركة المعروفة بشركة بتزبرج في الولايات المتحدة كان في سنة ٩٧ الفي وسق (الوسق نحو ٤ قناطير) وقد اكتُشِفت لهُ مناجم جديدة في نياغرا سيكون المستخرَج منها عظيماً جدًّا حتى يقدَّر ان سعر الكيلغرام منهُ يهبط الى فرنك ونصف

انفجارٌ هائل للهوآء السائل ـ حدث آخراً انفجارٌ هائل في المعهد الفنّي في بروكلين من الولايات المتحدة الاميركانية في اثنآء امتحان الخصائص الكيماوية للهوآء السائل اصيب فيهِ الاستاذ فاي وواحدٌ من خرّيجيهِ بحَرَقٍ أليم

وذلك ان الاستاذ المذكور كان قد استعدّ لخطابٍ يشرح فيهِ الامتحانات الحديثة التي اجراها في الهوآء السائل بعد ان اعدّ منهُ ثمانية ألتار ودعا لحضور ذلك الخطاب جماعةً من اهل هذا الشأن . وبعد ان اتمّ خطابهُ شرع في الامتحان وكان ستةٌ من الحاضرين مجتمعين حولهُ ليعاينوا ما يجريهِ فاخذ عدّةً من اصناف السوائل الآلية من نحو التربنتينا وروح الخمر وجمّدها ثم تناول قطعةً من الفسفور الابيض وغمسها في الهوآء السائل فلم يلبث الفسفور ان استحال الى بنآءٍ بلّوري خالص . وبعد ذلك اخذ قطعةً من

الفسفور الاحمر وغمسها في السائل نفسهِ وقد قدَّر اما ان تنحلّ او ان تستحيل الا ان الهوآء تبخر بسرعةٍ غريبة وفيما كان الاستاذ يقلّب تلك القطعة بمحرّكٍ في يدهِ وقد اقترب الحاضرون كلهم ليشاهدوا ما يكون من استحالة لونها او تحولها الى فسفور ابيض اذا بانفجار فجآئي هائل قد اطار زجاج الموضع وكل ما كان فيهِ من الادوات كانما هو عاصفٌ شديد — ولا بدع ان يحدث العاصف من الهوآء — فتحطّم كل ذلك كَسراً واحترق الاستاذ فاي في وجههِ حرقاً شديداً وجُرِح في عينيهِ واقتُلِع بعض اظفارهِ فحمل ووُضع تحت المعالجة

وقد اتُّخذ هذا الحادث عبرةً ودرساً لكثيرين ممن يتصدون لاجراء مثل هذه الامتحانات ذات الخطر بين جمهور من الناس بدون سبق اختبار ولا اتخاذ ما يجب من الاحتياط منعاً لما قد ينشأ عن ذلك من الاخطار

السيّار الجديد بين الارض والمرّيخ — بعد ما اكتُشف هذا السيار على احدى صفائح التصوير الشمسي خطر لبعض علماء الهيئة ان يتفقد الصفائح التي أُخذت في السنين الماضية للمواضع التي يقدَّر انهُ كان فيها من السماء فوجد رسمهُ في بعض الصفائح التي اخذت سنة ٩٢ و ٩٤ و ٩٦ في اثني عشر موقعاً فحسب بموجب هذه المواقع ان سنتهُ تكون ٦٤٣ يوماً وهي اقصر من سنة المريخ باربعة واربعين يوماً ومباينة فلكهِ تبلغ ٢٢٥، فهي ثلاثة اضعاف مباينة فلك المريخ

ولما كان المسيو وِيت هو المكتشف لهذا السيّار كان لهُ الحقّ الاول ان

يختار لهُ اسماً يميزهُ بهِ وقد سماهُ آيروس وهو اسم اله الحبّ

جوّ القمر - عمد المسيو كمستوك الى تجديد البحث في تحقيق هذه المسئلة فقاس المسافة بين نجمين واقعين في طريق القمر ثم قاس المسافة بينهما بعد ما صار احدهما مماساً للحدّ المظلم منهُ فوجد بين القياسين فرقاً يعدل ١/٢٠٠ من الثانية وهذا الفرق ناشئ ولا شك عن انكسار شعاع النجم في اجتيازهِ الهوآء المحيط بالقمر فثبت من ثمَّ ان للقمر جوًّا الاّ ان كثافتهُ لا تزيد على ١/٥٠٠ من كثافة جوّ الارض

على ان هذا نفسهُ كان قد ظهر للمسيو پيكرين في بحثٍ بحثهُ من هذا القبيل فاتفق القولان على مفادٍ واحد وهذا الاكتشاف يُعدّ من مهمّات علم الهيئة

مقدار المآء في جوّ الارض - قدّروا ان جملة بخار المآء المنتشر في هوآء الارض يبلغ ثقلهُ ٠٠٠ ,٠٠٠ ,١٧٣ ,٠٠٠ وسق او ٠٠٠ ,٠٠٠ ,٠٠٠ ,٦٩٢ قنطار وهذا المقدار على ما يظهر في بادي الرأي من كثرتهِ الهائلة فانهُ لو انصبّ في وقتٍ واحد على سطح الارض لم يزد الواقع منهُ في المكان الواحد على ١٠ الى ١١ سنتيمتراً ولو فرضنا انهُ انحصر في البرّ وحدهُ لكان سمكهُ اربعة اضعاف هذا القدر على التقريب ومثل هذا المقدار من المطر يُعَدّ من المطر المتوسط في معتدل الاقاليم

اسئلة واجوبتها

بيروت ـ قرأنا في احدى المجلّات العلمية ما يستفاد منهُ ان الجيم لم يُلفَظ بها من الشجر الا في القرن الثاني للهجرة وانها كانت الى ذلك التاريخ حلقية وان ما نصّ عليهِ علمآء اللغة من مخرج هذا الحرف انما كان بعد التاريخ المذكور اي بعد ان شاع اللفظ الشجري فلا يتعين ان يكون ما نصّوا عليهِ هو اللفظ الذي كان عليهِ العرب في صدر الاسلام فما الصحيح في ذلك

ج * ن

الجواب ـ اما الزمن الذي تحوّل فيهِ لفظ هذا الحرف الى الشجر فلا سبيل الى تعيينهِ ولم نجد عليهِ كلاماً لاحد (ولا نخشى ان يقال لنا انا غير مصيبين في قولنا لم نجد ...) واما أنهُ لم يحدث الا بعد القرن الثاني للهجرة فلا صحة لهُ بل مما لا ريب فيهِ انهُ كان قبل عهد الاسلام بدليل الفاظٍ وردت في اللغة وقع فيها الابدال بين الجيم والشين وهذا لا يكون الا اذا كان لفظ الجيم شجرياً . فمن تلك الالفاظ قولهم عنج الشيء وعنشهُ اذا عطفهُ واماله . وكذلك حنجهُ وحنشهُ . وقولهم مكانٌ جاسئٌ وشاسئ اي غليظ . وارتعج وارتعش بمعنى ارتعد والاصل في هذه الشين ثم الجيم ثم الدال . ورجلٌ فجفاج وفشفاش اذا كان متشبعاً بما ليس عندهُ . ومحج الشيء ومحشهُ اذا قشرهُ . ومثله جحفهُ وشحفهُ . وجرز الشيء وشرزهُ اذا قطعهُ . وقولهم رماهُ الله بجرَزة وشَرَزة اي بهلكة . وهاج القوم هيجاً وهاشوا هيشاً اذا تحركوا وثاروا . وتجفجف الثوب وغيرهُ اذا جفّ وفيهِ بعض النداوة وتشفشف

النبـات اذا اخذ في اليبس . وهبجهُ وهبشـهُ اذا ضربهُ ضرب التلف . وحدجهُ بنظرهِ اذا احدّ النظر اليهِ وحتش النظر اليهِ اذا ادامهُ وانمـا أُبدل من الدال تآءٌ لمكان الشين لانها ارقّ من الجيم فقُرن كلٌّ منهما بما يناسبهُ . وحبلٌ مُدمَج ومُدمش اي محكم الفتل ومنهُ ما انشدهُ في لسان العرب اذ ذاك اذ حبل الوصال مُدمَشُ . ولعلّ من تفقد كتب اللغة يجد غير ذلك وفيما اوردناهُ كفاية

واما كون ما نص عليهِ علمآء العربية في مخرج هذا الحرف لا يتعين ان يكون هو اللفظ الذي كان عليهِ العرب في صدر الاسلام فما لا يقولهُ الا جاهلٌ بتاريخ اللغة وكيفية تحملها ونحن لا ننكر ان اللغة قد عرض عليها بعد عهد الاسلام تحريفٌ وخطأٌ كثير ولكن ذلك انما كان في كلام العامة والالفاظ المتداولة في المعاشرات والمعاملات لا في قواعد اللغة واصولها ولفظ ائمتها وشيوخها فعلى تسليم ان تدوين مخارج الحروف كان في القرن الثاني او في الثالث او الخامس فان ذلك لا يقدح في كون ما نصّوا عليهِ هو لفظ العرب بعينهِ لأول عهد الاسلام لانهم انما اخذوا مخارج الحروف وصفاتها عن ألسنة القرّآء لا عن اللفظ الجاري على ألسنة العامة اذ ذاك . وانت خبيرٌ بان تلاوة القرآن لم تنقطع منذ عهد النبي يتناولها الخلف عن السلف بالتلقين والسماع المتسلسل ولهذه التلاوة احكامٌ وضوابط بلغوا فيهـا من الدقة في تصوير الأدآء والامعان في صفات الحروف ومخارجها اقصى مبلغ ولهم من الحرص على احكام التجويد والتنطس في اقامة اللفظ وصحة الأدآء ما لا ينحطّ عن الحرص على اقامة احكام الدين نفسهِ فكيف يحتمل مع ذلك انهم

يخلّون بلفظ هذا الحرف ويبدّلون مخرجهُ او يتساهلون بقبول هذا التبديل على فرض صحة وقوعهِ . ومن اراد الوقوف على مصداق ما نقول فليقرأ النوع الرابع والثلاثين من كتاب الاتقان للسيوطي ليعلم مبلغ الشأن عندهم في ذلك ونحن ننقل هنا بعض الشيء مما ورد في الفصل الثاني من النوع المذكور قال

من المهمات تجويد القرآن وقد افردهُ جماعةٌ كثيرون بالتصنيف منهم الداني وغيرهُ واُخرج عن ابن مسعود انهُ قال جوّدوا القرآن . قال القرّاء التجويد حلية القرآءة وهو اعطاء الحروف حقوقها وترتيبها وردّ الحرف الى مخرجهِ واصلهِ وتلطيف النطق بهِ على كمال هيئتهِ من غير اسرافٍ ولا تعسف ولا افراطٍ ولا تكلف .. ولا شك ان الائمة كما هم مقيّدون بفهم معاني القرآن واقامة حدودهِ هم مقيَّدون بتصحيح الفاظهِ واقامة حروفهِ على الصفة المتلقاة عن ائمة القرآءة المتصلة بالحضرة النبوية ... ويلي هذا الكلام احكامٌ وتفاصيل طويلة يضيق من دونها هذا المقام فنجتزئ منها بهذا القدر وفيهِ مقنعٌ عن المزيد

القاهرة ـ لما ذا يضطجع الانسان على الجانب الايمن

مستفيد

الجواب ـ الظاهر ان ذلك لا يمكن ان يؤخذ على اطلاقهِ فان الاصحاء ينامون على الجانبين بلا فرق الا ان يكون هناك شيءٌ من قبيل العادة والاّ فليس لذلك من علةٍ طبيعية ولا يظهر لهُ سببٌ في علم منافع الاعضاء .

على انهُ لا يبعد ان يكون من النـاس من يؤثر النوم على الجانب الايمن وهؤلآء على الغالب يكونون من اصحاب المزاج العصبي الشديدي الانفعالات او من الضعفاء البنية فان النوم على الجـانب الايسر يزيد الضغط على جهة القلب وهو يكون فيهم شديد الانفعال فيشعرون بضرباتهِ فيتضايقون ويضطرون الى التحول

على ان من المتفلسفين في هذه المسئلة من زعم ان الانسان ينـام في اول الليل على الجانب الايمن لان المعدة تكون حينئذٍ ملأَى بالطعام فاذا نام على الجانب الايسر جاءت الكبد فوق المعدة فعاقتها عن اتمام الهضم فاذا تمّ الهضم وخفّت المعدة انقلب الى الجانب الايسر وهو من المزاعم الضعيفة والله اعلم

آثار ادبيّة

الجامعة العثمانية ـ مجلة سياسية ادبية علمية تهذيبية تصدر في مدينـة الاسكندرية لحضرة منشئهـا فرح افندي انطون ومديرها ميخائيل افندي كرم . وقد وقفنا على الجزء الاول منهـا الصادر بتاريخ ١٥ من هذا الشهر فوجدنا فيهِ كثيراً من المقالات النافعة والفوائد الرائعة اهمها في الحضّ على التعليم واحسان التربية والتآزر على تعزيز الوطنية وجمع الكلمة ونبذ التعصب في كلامٍ كلهُ مفيدٌ مؤيدٌ بالشواهد من اقوال فلاسفة العصر واحوال الممالك المتمدنة وتواريخ الحضارة مما تشفّ كل فقرةٍ منهُ عن حكمةٍ وصواب . وما

ينقصنا الكلام ولكن ينقصنا اسماعٌ تصغي وقلوبٌ تعي وهممٌ مشمرّة وايدٍ عاملة وناسٌ اذا ظهر لهم الحقّ عرفوهُ حقّاً واذا عرفوهُ اعترفوا بهِ جهراً الهمنا الله رشد انفسنا وحجز بيننا وبين اهوآئنا حتى لا تصدّنا عن السبيل القويم ولا نقف في طريق غيرنا سدّاً

والمجلة المذكورة تصدر مرتين في الشهر في ست عشرة صفحةً كبيرة وقيمة الاشتراك فيها اربعون غرشاً مصرياً في القطر وثلاثة عشر فرنكاً في الخارج

تاريخ المشرق – أُطرفنا بنسخةٍ من هذا الكتاب النفيس معرَّباً عن الفرنسوية بقلم حضرة الفاضل الالمعيّ احمد زكي بك المشهور السكرتير الثاني لمجلس النظار صاحب كتاب السفَر الى المؤتمر . وهو يشتمل على تواريخ الامم المشرقية الاولى مقسومةً على اربعة كتب الاول في تاريخ مصر والثاني في تاريخ الكلدان والاشوريين والثالث في تاريخ الفينيقيينَ والرابع في تاريخ المادويين والفرس . وقد عرّبهُ تعريباً محكماً واضح العبارة سهل الاسلوب وعلق عليهِ فوائد وتحقيقات وتفاسير شتى في متن الكتاب وحواشيهِ ممّا يتعلق بالتاريخ والجغرافية وتعريب بعض الالفاظ وردّ بعض اسمآء الاعلام الى لفظها الوارد في كتب العرب . وقد زينهُ بالرسوم التي في الاصل المعرَّب عنهُ والحقهُ بعدّة خرائط متقنة الرسم والطبع فجآء كتاباً جايلاً غزير الفوائد ينطوي في نحو ٢٣٠ صفحة متوسطة فنحثّ طلاّب العلم على اغتنام فوائدهِ ونثني على معرّبهِ اطيب الثناء

فكاهات

رواية

الحرّ في البرد (١)

كان في انكلترا فتىً من اشرافها يدعى يعقوب سميث واسع الثروة وافر الغنى توفي والداهُ وتركا لهُ الاملاك الفسيحة والاموال الطائلة ولم يكن لهُ من الاقارب سوى عمّ شيخ وخالةٍ ارملة فلم يأتِ وقتٌ طويل حتى توُفيا ايضاً وتركا ما كان لهما ليعقوب فتضاعفت ثروتهُ واصبح المالك الوحيد لهذه الاموال العظيمة لا ينازعهُ فيها منازع

الا ان سعة العيش وتوفر معدات النعيم لم تكن لتصل بيعقوب الى ما يُعدّ سعادةً في الدنيا فانهُ لم يكد يتصوّر وحدتهُ في العالم وعدم وجود من يجمعهُ واياهُ نسبٌ واحد حتى اظلمت الدنيا في عينيهِ وسئم الحياة بل تيقن انهُ ان كلمهُ احدٌ فلمالهِ او صادقهُ صديق فلغناهُ . ولذلك عزم على ركوب جناح السفر والتنقل في بلاد الله الواسعة علهُ يجد في ذلك ما يسليهِ عن تلك الحال ويدفع عنهُ اضطراب افكارهِ. فلم يلبث ان توجه الى محطة السكة الحديدية وسافر حتى وصل الى بريتون وفي اليوم الثاني ركب البحر قاصداً فرنسا فلم يقم بها الا اياماً قلائل متنقلاً بين اشهر مدنها ثم ركب القطار من مدينة باريز قاصداً سويسرا غير انهُ وصل الى المحطة متأخراً فلم

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

يتمكن من النزول الا في الدرجة الثانية فنزل في احدى مركباتها • واتفق ان كان برفقتهِ في تلك المركبة ثلاث سيدات اثنتان منهنَّ امامهُ والثالثة بجانبهِ وكانت السيدتان اللتان بازآئهِ غارقتين في الحديث فلم يكن ليعقوب سبيل الى التكلم معهما واما التي بجانبهِ فكانت تقرأ كتاباً في يدها ولم تكن ترفع عينيها منهُ فاتكأ يعقوب الى نافذة العربة يسرّح طرفهُ في المناظر البديعة التي يمرّ عليها • وعند منتصف النهار وصل القطار الى محطةٍ هناك فوقف ونزل المسافرون لتناول طعام الظهر ونزل يعقوب معهم • ولما عاد الى العربة وجد السيدة الفتاة لم تزل فيها وقد لاحت على وجهها علامات الاسى والانقباض فرفع قبعتهُ لها مسلّماً وقال هل تعلمين يا سيدتي ان ليس في طريقنا سوى هذا المحل لتناول الطعام واراكِ الى الآن لم تنزلي فهل تأذنين لي ان أُحضر لكِ شيئاً اذا كنتِ غير قادرة على النزول • فتنهدت وقالت انني جائعة ولكنني لم اكن اعلم بوجود هذا المحل هنا فان هذه اول مرة سافرت فيها الى هذه الجهات فاشكر لطفك ايها الهمام واني نازلة في الحال • قال هيا اذاً فلم يبقَ للقطار هنا سوى ربع ساعة . فاستندت الفتاة على ذراعهِ الى ان بلغت النزل فدخلت واكلت ثم ادّت ما عليها ورجعت ولما استوت على مقعد العربة حنت رأسها شاكرة ثم عاودت القرآءة فلم يعد يكلمها

وما زال القطار يخترق سهول فرنسا الخصيبة حتى خيم الليل وكان الهوآء بارداً فتدثرت السيدتان ورغبتا الى يعقوب ان يطفئ مصباح العربة لتناما ففعل ولبثت الفتاة جالسةً الى جانبهِ صامتةً • فخطر ليعقوب ان يحادثها لكنهُ خشي ان تنفر منهُ ويكون ذلك مجلبةً لظنون السيدتين

الاخرين فصمت هو ايضاً . وفي اثناء ذلك شعر يعقوب بحركة الفتاة ثم لاحظ ان يدها ترتفع من وقتٍ الى آخر بمنديل ابيض الى عينيها فهاج بلباله واعار اذناً صاغية فاذا بالفتاة تنتحب وتتأوّه تأوّهاً خفيّاً . ولما وقف القطار ثانيةً نزلت السيدتان وبقي يعقوب والفتاة وحدهما وشعر من نفسه كأن محركاً يدفعهُ الى مكالمتها وتلطيف بلبالها وقد اخذتهُ عليها شفقةٌ عظيمة ولا سيما انهُ لما اسفر الصباح رأى عينيها محمرّتين من البكاء وعليهما آثار الدموع المحرقة . فبدأ يخاطبها بلطفٍ عظيم وكانت تجيبهُ بكل رزانةٍ واحتشام وهي لا تكاد ترفع بصرها اليهِ واستنبأها عن شأنها فقصّت عليهِ الحديث الآتي قالت

انا ابنة كاهن في غربي لندرا لم يُرزَق ابي من الذكور سوى ولدٍ وحيد بين سبع بنات انا اكبرهنّ واسمي دينا . وقد كان ابي فيما مضى من حياتهِ موسراً ذا عيشةٍ راضية فلما كثر عيالهُ وزادت نفقاتهُ لم يعد دخلهُ كافياً لسدّ حاجاتهِ فتضايق من هذه الحال وحنت ظهرهُ الهموم لانهُ رأى نفسهُ غير قادر على توفية بنيهِ حقهم من مطالب الرفاهية في العيش والتنشئة على طريقة الأُسر الممتازة في امر التعليم ومتعلقاتهِ ولم يكن لهُ املٌ الاّ في وحيده اخي المذكور واسمهُ يوسف وكان قد جعلهُ في احدى المدارس واقام ينتظر ان يفرغ من دروسهِ فيكون مساعداً لهُ على الخروج من تلك الضيقة . فلما خرج اخي من المدرسة وقد اخذ البرآءة المؤذنة بنجابتهِ شرع يبحث عن شغلٍ يتعاطاهُ فأُغلقت في وجههِ ابواب البخت وسُدَّت في طريقهِ وسائل التعيش ولم يتيسر لهُ الا وجود اشغال كثيرة التعب قليلة الدخل لا تكاد

تدرأ عنا سهماً واحداً من سهام الفاقة والعوز . وفي ذات يومٍ وصل الى ابي رسالة من اخي يوسف يقول فيها انهُ قد يئس من حصول الكسب في لندرا ولم يجد بدًّا من السفر الى حيث تقودهُ الاقدار ويقسم لهُ البخت فاذا رزقهُ الله عاد الينا بما غنم والاّ فلا اقلّ من ان يكون قد كفانا مؤونة نفسهِ. فوقع ذلك عندنا موقعاً احزننا جميعاً وبكينا غياب اخي اياماً ولم نزل نسال انفسنا بقرب رجوعهِ والضيق يزداد علينا يوماً بعد يوم حتى مضى على غيابهِ ثلاث سنوات ولم نحصل منهُ على خبر . ففني الصبر وازدادت احوالنا ضيقاً وعزمت ان اجاهد بنفسي سعياً وراء ما يسدّ ولو بعض الحاجة فعرضت نفسي للخدمة في بعض بيوت الاكابر بمنزلة مربية غير اني لجهلي اللغتين الفرنسوية والالمانية لم يتسنَّ لي ذلك في انكلترا ولكن وُفّقت الى وجود اسرةٍ في لوسرن من سويسرا وسيدةٍ تدعى مانسفيلد طلبتني كي اربي اولادها فلم اتأخر عن الحضور ولا سيما اني هناك اتعلم اللغتين اللتين انا في حاجةٍ اليهما بسهولة وها انا الآن مسافرةٌ الى لوسرن . ولما كانت هذه اول مرة سافرت فيها عن اهلي فاني كلما تذكرت والدي الشيخ واسرتنا الفقيرة لا املك النفس عن التأوه وسكب الدموع

ولما فرغت الفتاة من قصتها عادت تخنقها العبرة وتأثر يعقوب من حديثها تأثراً شديداً فمسح من عينيهِ دمعةً محرقة واخذ في ملاطفتها وتسليتها عما بها وكان القطار قد قارب لوسرن فاستاء يعقوب لعلمهِ بقرب موعد الفراق بينهُ وبين رفيقتهِ . ولما وقف القطار وعلمت الفتاة انها قد وصلت الى لوسرن قامت فانزلت صندوقاً من الجلد كان معها وعرض عليها

يعقوب ان يوصلها سالمةً الى البيت الذي تقصدهُ فأبت بعد ان شكرتهُ كثيراً وودَّعتهُ وسارت

اما يعقوب فتوجه الى فندقٍ هناك فبدّل ثيابهُ ثم خرج يسرّح الطرف في تلك المناظر ولم يبرح من فكرهِ حديث الفتاة ولا هيئتها الحزينة . وبينما هو سائرٌ اتفق مرورهُ من امام كنيسة القرية وكان لدى بابها تمثال من الرخام فرأى يقربهِ فتاةً جاثية والى جانبها صندوقٌ فعرف للحال انها رفيقتهُ دينا . فتعجب من وجودها في ذلك المحل ودنا اليها وقد دفعهُ الشوق الى ان يراها ثانيةً ولما وصل اليها وجدها غارقةً في البكاء تتضرع همساً بطلباتٍ وصلواتٍ حارة لم يسمع منها شيئاً . ولما شعرت دينا بقدومهِ مسحت دموعها ووقفت امامهُ فقال لها اراكِ مضطربة محزونة فهل في امكاني ان اساعدكِ في امرٍ ما . قالت اظن ان في امكانك ذلك ان كنت تريدهُ . اني انطلقت الى بيت السيدة مانسفيلد فوجدتها قد سافرت من هذا الموضع وتوجهت الى نريتال وقد تركت لي بلاغاً ان اتبعها الى هناك وانا اجهل المحل فهل لك ان تخبرني اين نريتال وكم تبعد من هنا ومن اي طريق يسار اليها . قال حبّاً وكرامة فهلمَّ معي ان شئتِ الى الفندق نشرب كاساً من الشاي وانبئكِ بكل ما تحبين معرفتهُ . فلبَّت الفتاة شاكرة وحمل يعقوب صندوقها وسارا صامتين . وكان يعقوب يفكر وهو سائر في حالتهِ وغناهُ وما ترك وطنهُ لاجلهِ وكيف اصبح مهتماً بهذه الفتاة الفقيرة يسير بين يديها كالخادم يحمل صندوقها غير انهُ شعر في داخلهِ بما يدفعهُ الى هذا الفعل رغماً وظن ان سيكون لهذه الفتاة شأن في تاريخ حياتهِ . وبعد ما استقرّا في

الفندق اخذ خريطة المكان واراها موقع نريتال وهي تبعد عن لوسرن مسافة اربعين ميلاً واراها طريقها حيث ينزل المسافر اولاً في باخرة فيقطع فيها نحواً من عشرين ميلاً ثم يركب عربةً فيما بقي من الطريق . فقالت دينا لكن ارجو من فضلك ان تخبرني كم تبلغ نفقة هذه السفرة الاخرى فاني لم استصحب معي سوى ما يبلّغني لوسرن ولم يكن في حسباني ان سيجدّ عليَّ سفرةٌ اخرى ولا ادري هل الباقي معي يكفيني للوصول الى نريتال . فاخذ يعقوب ورقة وجعل يرقم عليها حتى اذا انتهى اراها المجموع فتنهدت وقالت ان ما معي لا يكفي . فقال يعقوب انني مسافرٌ على نفس الطريق فاذا شئتِ قمت عنك باداء تمة النفقة ثم تفيني ما ادفعهُ متى وصلتِ اذ لا بد ان تؤدي اليك السيدة مانسفيلد نفقة سفركِ . قالت اشكرك على ذلك وارجو ان تعذرني على عدم قبولهِ منك اذ لا يمكنني ان اقبل ديناً من شخص يجهلني ولا ان اجعل عليَّ ديناً لست على يقين من القدرة على وفائهِ غير ان ما معي من المال يكفي لان يبلّغني نصف الطريق ثم اقطع النصف الباقي ماشيةً فهل الطريق ذات خطر قال لا وانا ايضاً اجتازها ماشياً فاذا شئتِ ترافقنا الى ان تبلغي المحل بأمان

وبعد ساعةٍ ركبا الباخرة فسارت بهما وكان يعقوب قد سبق فاعطى الربان اجرة السفر واوصاهُ ان لا يأخذ من دينا الا ربع القيمة . وفي اثناء هذا السفر جلست دينا على كرسيّ تقرأ كتاباً وجلس يعقوب على بعدٍ يراقب حركاتها ولم يجسر ان يدنو منها ليكلمها . ولحظ ان شاباً ينظر اليها كيفما توجهت ويتبع خطواتها حيثما سارت فقلق لذلك وشعر بنار الغيرة الا

انهُ لعلمهِ بان هذا الشاب لم يرَها قبل ذلك ولم يسبق لهُ بهـا معرفة لم يعرهُ كثير اهتمام لكنهُ بقي محاذراً الى ان انقضى سفر البحر فاسرع يعقوب اليها وساعدهـا في النزول الى البر ثم توجه بهـا الى موقف العربات فاتخذا لهما محلين وفعل هناك كما فعل في البحر . ورأت دينا انها في كلتا السفرتين لم تدفع الا شيئاً يسيراً فسرَّت ولم تدرِ ان يعقوب هو الذي كان يدفع عنها ولو علمت لما قبلت قطعاً

وفيما هما سائران التفت يعقوب فرأى الشاب الغريب يتبعهما في عربةٍ اخرى وهو يمد عنقهُ ليرى دينا ولا يحوّل نظرهُ عنها فازدادت غيرتهُ عليها وامر السائق ان يجدّ السير ففعل . ولما بلغت العربة قمة جبال الألب نظرا فاذا هي مكسوّةٌ بالثلج وقد التحفت بهِ بجملتها فلم يظهر للعين سوى بياضهِ الساطع يكاد يذهب بالبصر . ثم اخذت العربة في النزول من الجانب الآخر واشتد قرس البرد حتى صارت دينـا ترتجف ولم يكن معهـا سوى دثارٍ رقيقٍ فنزع يعقوب جبتهُ عنهُ والقاها عليها فشكرتهُ وكان بودها الرفض غير انها اطاعت اضطراراً . وبعد ما قطعا مسافةً من الطريق رأى يعقوب ان شفقتهُ على تلك الفتـاة قد انقلبت الى حبٍّ صحيحٍ وتعلقٍ شديد فاخذ يفكر في ما عسى ان يكون المانع لو اقترن بها وارجعها الى وطنها بدلاً من ان تقاسي مرارة الغربة وما المانع من امداد والديها بشيءٍ من مالهِ الكثير وكانت هذه الافكار تتردد في مخيلتهِ وتقوى فيهـا الى ان بلغت معظمها فلم يعد يستطيع الكتمان فاقترب من دينا وطوقها بذراعهِ قائلاً هل تأذنين لي ايها الملك الطاهر ان اكلمكِ شيئاً . قالت قل ما بدالك لكن ارجو ان ترفع

ذراعك هذه من هنـا . قال اني لم اعرفكِ قبلا ولم أرَكِ قبل امس وكانت هذه الساعات القليلة كافيةً لان اختبركِ حق الاختبـار وقد وجدت فيكِ من الصفات والمحاسن ما قلّ ان يوجد في نسآء عصرنا الحالي . وكنت قد عاهدت نفسي على ان اعيش وحيداً شارداً ولا اعاشر اواخالط مخلوقاً ما استطعت غير اني ما كدت امضي على عزمي هذا حتى وضعكِ القدر امامي فدفعتني عواطف داخلية الى التكلم معكِ ثم الى الاهتمام بكِ ثم الى الاقتراب منكِ ثم الى حبكِ وانا انقاد الى هذه العوامل باتمّ الطاعة والخضوع حتى اصبحتُ كما انا الآن محباً والهاً . أجل يا دينا انني احبكِ حباً لا مزيد عليهِ ولا ارى نفسي سعيداً الا اذا وعدتني ان تقابلي محبتي بمثلها فان فعلتِ وكنتِ عند متمناي عدلتُ عما عزمت عليهِ من الانقطاع عن العالم وحييتُ لكِ والا دفعتُ نفسي الى ما صممّتُ عليهِ ودفنتُ ذاتي في الحياة

ولم تكن دينـا تنتظر مثل ذلك الحديث فاطرقت هنيهةً وهي غائصة في لجةٍ من الافكار ثم رفعت رأسها وقد احمرّت وجنتاها وقالت انني اشكر عواطفك ايها الشاب فانك لم تقصد بهذا سوى ان تريني شعورك بمصائبي وشفقتك عليّ . اما ان اكون زوجةً لك فهذا امرٌ لا يكون فارجو ان لا تفـاتحني بهذا الحديث من بعد . وفي تلك الدقيقة كانت العربة تنحدر بهما مسرعة على شفا وادٍ عميق فتوقفـا عن الحديث اذ ارتجّت العربة بهما وسمع صوت السائق ينادي مستغيثاً وفي اسرع من لمح البصر فتح يعقوب باب العربة وحمل دينا فوثب بها الى الخـارج واذا احد الخيل قد سقط الى الارض ونفرت بقيتهـا الى الوادي والسائق يجذب اللجم بيديهِ وقد عجز

عن تداركها . فاسرع الى معونته واخذ يقطع اللجم بيديه وهو يسند العربة بمعظم قوّته منعاً لها من السقوط ثم اجتهد كلاهما في رفع الحصان الساقط وكان قد شُقَّت كرشهُ وسال دمهُ فتلطخت ثياب يعقوب ويداهُ ووجههُ بالدم وهو يعمل بكل نشاط واجتهاد . ولما رأت دينا هول تلك الحال وابصرت الدم على ثياب يعقوب وجسمهِ اصفرّ لونها وأُغمي عليها فبادر يعقوب للحال ورفعها على ذراعيهِ وانطلق بها الى مكانٍ بعيد عن محل الحادثة ثم اسندها الى صخرةٍ في الطريق ورجع لاتمام عملهِ اذ لم يكن بدٌّ من رفع الحصان الساقط قبل وصول العربة الثانية لئلا يصيبها ما اصاب الاولى

وبعد ان قضى مدةً في المزاولة والاجتهاد تمكن بمساعدة السائق من اخلآء السكة واصلاح العربة وخيلها حتى صارت معدّةً لاستئناف المسير . وكان بالقرب من المكان جدولٌ فعمد يعقوب اليه وغسل ما كان عليهِ من الدم وعاد الى حيث اودع حبيبتهُ ليرى ما حلّ بها ولما بلغ المكان وجدها واقفةً مستندة الى ذراع الفتى الغريب الذي كان قد رآهُ قبلاً وهي تبتسم لهُ بعينٍ كلها محبة وانعطاف . فلما رأى يعقوب ذلك وقف مبهوتاً ثم تقدم الى الغريب والتى عليهِ نظراً وحشياً وقال ما شأنك والفتاة يا هذا . فقال الفتى وانت ما شأنك وهذا السؤال ومالك وللفتاة حتى تدافع عنها . قال هي رفيقتي في السفر بل هي تحت حمايتي بل ... قال بل ماذا وهل من قرابةٍ بينك وبينها حتى تكون منها بهذه المنزلة . قال لا قرابة بيننا الى الآن ولكن ... فقطعت عليهِ دينا وقالت اشكر فضلك ايها السيد الكريم لما

تحملت لاجلي من الاهتمام والتعب والآن فقد وجدتُ من انضمُّ اليهِ ويكفيك امري فانا استودعك الله وأسأل لك سفراً سعيداً . فلم يفهم يعقوب هذه الغوامض وتعجب من انحياز دينا لهذا الغريب الذي لم ترهُ الا في تلك الدقيقة. ولحظت دينا العوامل المضطربة في داخل يعقوب فقالت لا تتعجب ايها الفاضل من عملي فقد اخبرتك بتأريخ حياتي وازيدك الآن انك لما تركتني هنا وصلت العربة الثانية ونزل منها هذا الشاب فاقترب مني وفي دقائق قليلة عرفت انهُ هو اخي يوسف الذي اخبرتك عنهُ فانهُ عاد من غيبتهِ في العالم الجديد وقد رزقهُ الله من اليسر ما يكفي لاعادة بيتنا الى افضل من مجدهِ القديم . وقد اتفق ان ابصرني في الطريق فرأى من ملامحي ما احدث عندهُ الشك في معرفتي ومع انهُ كان مسرعاً للوصول الى بيتنا لم يتمالك عن ان يتتبع خطواتي ليستثبتني عن يقين وقد سألني عن نفسي ولما تحقق اني شقيقتهُ عرفني بنفسهِ فالحمد لله على اجتماعي بهِ وانحلال عقدة العسر بعودهِ الينا سليماً موفقاً . ثم التفتت الى اخيها وقالت لهُ لا بد لي قبل ان يفارقنا هذا الرجل الفاضل ان اقصّ عليك ما صنع اليّ من الجميل في هذه الارض التي لا اعرف فيها احداً مع ضعفي وانفرادي فانهُ اخذ بيدي وعاملني معاملة الاخ الشفيق ولم يدَع وسيلةً لراحتي وتسليتي عما انا فيهِ الا بذلها فانا اذكر جميلهُ وكرمهُ ما حييت . فقال يوسف وانا ايضاً اشاطر شقيقتي الشكر لاحسانك ايها الهمام الكريم واسأل الله ان يجزيك خيراً ولقد كنت اتمنى لو التقيت بك في بلدي حتى افيك حق احسانك واقدّمك الى ابي وسائر اهل بيتنا ليعلموا ان لهم صديقاً وفيّاً قد سبق فضلهُ

معرفتهُ ولكن لا اقلّ من ان تتفضل بتعريفي اسمك ليكون عندنا تذكار جميل واحترام . فقال يعقوب وقد زادهُ هذا الكلام تعلقاً بدينا وبكل من ينتمي اليها انا يعقوب سميث بن ادورد سميث المشهور وان ما وددتهُ ايها السيد من التقآئنا في بلدكم ليس من الامور المستبعدة بل هو ما انا قاصدهُ من كل قلبي وقد سألت حضرة السيدة ان تقبلني رفيقاً لها لا مسافة ما اصل بها الى بلدكم فقط بل ان اكون بكليتي معها ولها مسافة العمر فابت ان تعطيني يدها على ذلك ولعل الله ارسلك لتكون عوناً لي على بلوغ هذه الامنية التي اعدُّها سعادة حياتي بل هي حياتي كلها . فالتفت يوسف الى اختهِ وقال لها ولما ذا لم تقبلي هذا الشريف يا دينا . قالت لاني عرفت انهُ لم يظهر لي ذلك الاّ لانهُ تأثر لبلواي لا لاني وقعت من قلبهِ موقعاً محبوباً . فصاح يعقوب كلاّ بل هو عن حبٍّ ملك القلب واستعبد الجوارح وهاءنذا اعيد عليكِ سؤالي مرةً اخرى هل يكون لهذا القلب حظٌّ عندكِ . قالت لا لزوم للسؤال فانا لك

وعادوا بعد ذلك فركبوا العربة وفي المسآء وصلوا جميعاً الى نريتال فارسلوا يعلمون السيدة مانسفيلد بعدم استطاعة دينا ان تقوم بما وعدت وعاد الثلاثة الى انكلترا حيث اجتمعوا في بيت الكاهن الشيخ فاستقبل ولديهِ بدموع الفرح والشكر لله وما لبث بعد ذلك ان عقد ليعقوب على ابنتهِ دينا وعاشوا جميعاً في دعةٍ ونعيم نسوا بهما ما قاسوهُ من شظف العيش والشقآء
